المقدمة

لقد بدأت عملي كمدرس مباشرة بعد أن استقلت من منصب إداري في أحد البنوك. كنت قد أمضيت في البنك ستة عشر عاماً، ولكن حلم حياتي بأن أكون مدرساً لم يفارقني طوال تلك السنين. لقد أحببت أن يكون لي تأثير على جيل كامل من الطلاب، ولذلك قمت بالدراسة في إحدى الجامعات المفتوحة بدوام جزئي، وحصلت على إجازة بدرجة شرف في الأدب الإنجليزي. وقمت بعد ذلك بتدريس الموظفين في البنك، وفتحت صفوفاً تعليمية مسائية لتعليم الكبار لمدة من الزمن. وهكذا وطأت قدمي بكل ثقة أول مدرسة عملت فيها، وقد وافقوا على إعطائي فرصة التجربة مع أنني لم أكن أملك المؤهلات الكافية.

وهكذا أُدخلت إلى أول صف لي حيث كان هناك طلاب من الصف التاسع بانتظاري. كان مستوى أولئك الطلاب متوسطاً. أذكر أنني بدأت الدرس قائلاً بجدية: "سنتعلم اليوم قصيدة"، فأتاني الرد من أحدهم صائحاً: "ما هي القصيدة؟" ومرت ساعة من الزمن كانت أسوأ ساعة أمر بها في حياتي. كل ما كنت أفكر به هو: "ماذا فعلت؟"

الذي أعرفه هو أنني كنت قد خضعت للتدريب كي أصبح "مدرساً مؤهلاً". كما أنني كنت على مدى سنتين أذهب إلى الجامعة أسبوعياً وأقدم دروساً نموذجية في مناسبات عديدة.

وبكل صراحة أقول: لقد كانت تلك الدروس عبارة عن ساحة معركة. وصحيح أنني كنت أعرف مادتي حق المعرفة، ولكن المشكلة هي أنني لم أكن أعرف كيف أدرّسها. لقد كان الطلاب يشعرون بالملل في درسي. وكنت طوال الوقت أصرخ وأوجه عشرات التهديدات، وأطلق العقوبات بالجملة. وفي نهاية كل درس تراني منهكاً ومحبطاً، مما دفعني حقاً للتفكير بجدية في الاتجاه إلى عمل مختلف تماماً؛ لأنني في الحقيقة لم أكن أدري ماذا أفعل.

ومن خلال حضوري حصص بعض المعلمين من ذوي الخبرة أدركت أن البعض يبلي بلاء أفضل بكثير من غيره. فبدأت أسأل هؤلاء المعلمين الكثير من الأسئلة، وأدون ملحوظاتهم على دفتر ملحوظاتي الأول الذي تبعه العديد فيما بعد. وأدركت حينئذ أنني كنت أظن نفسي أُحسِن التدريس! إلا أنني في الحقيقة كان عليَّ أن أبدأ من الصفر. واتخذتها عادة بأن أدوّن الملحوظات المفيدة للمعلمين المحترفين. فكنت أسأل أحدهم مثلاً: "ماذا تفعل إذا استأذنك أحد الطلاب للذهاب إلى الحمام؟ لأنك إن سمحت لواحد بالذهاب فسيأتيك الجميع مستأذنين، وإن قلت: "لا" فقد يبللون أنفسهم."

فيجيبني قائلاً: "قل له أن يصبر لمدة عشر دقائق أخرى، فإذا لم يزل مضطراً اسمح له بالذهاب". وهكذا كنت أدوّن الملحوظة على دفتري.

وعلى مدى سنوات عديدة امتلأت عشرات الدفاتر بمئات الأفكار، وما زلت أفعل ذلك حتى الآن. وهذه هي عظمة التعليم إذ لا تنفك تتعلم. ومع ازدياد خبرتي بدأت باستخراج أفكاري الخاصة وإدخال بعض التعديلات على الملحوظات القديمة. وحين تكون إحدى الحصص الدرسية ناجحة فإنني أجلس بعدها متأملاً لأعرف السبب وراء كونها كذلك، ثم أدوّن جوهر السبب في نجاح الدرس.

وللأسف رأيت الكثير من المدرّسين يرفعون الرايات البيضاء، ويتركون هذه المهنة وهم في حضيض الإحباط. أما بالنسبة لي فقد مضى عليّ اثنا عشر عاماً في التدريس ولم أتراجع؛ لأنني أدركت منذ البداية أن التدريس مثله مثل أي مهنة أخرى له سر ومفتاح خاص. وهذا لا يعني أن جميع دروسي كانت متميزة، وما من مُدرّس يمكنه أن يدّعي ذلك. إلا أنني في الوقت الذي كنت أتعلم المزيد عن هذه المهنة وأحاول تطبيق ما أتوصل إليه من أفكار كنت أستمتع بالتجربة أكثر فأكثر. وأعتقد أن طلابي كانوا يشعرون كذلك أيضاً.

وفيما بعد قمت باستخلاص أفضل مئة فكرة في كيفية التعامل مع الطلاب الذين يتسم سلوكهم بالرغبة في التحدي والمشاكسة. وأذكر أنني عندما بدأت بالتدريس كنت أتمنى أن تقع عيني على كتاب يقدم لي نصائح عملية في كيفية التدريس بطريقة أكثر فعالية وجدوى، بعد أن فقدت الأمل في تلك الكتب الأكاديمية التنظيرية الضخمة التي لم يكن لها على ما يبدو أي صلة بالتجربة الصفية الواقعية. وهذا هو مقصدي من وراء جمع أفكاري في كتيب يساعد المعلمين الجدد، وأرجو أن يساعد القدامى أيضاً. ويكمن جمال هذه الأفكار في أنها جميعها مجرّبة في البيئة الصفية. كما أن بعض هذه الأفكار يحتوي على أمثلة واقعية لبعض الكلمات التي يمكن للمدرّس أن يقولها في حالات محددة. وهنالك أيضاً بعض التعليقات التي وُضعت لتنبيه المدرّس من الوقوع في بعض المآزق. كما أن هناك بعض الطرق لتعليم الطلاب الذين يميل سلوكهم إلى التحدي والمشاكسة.

و أخيراً أرجو أن يكون كتابي هذا مصدر فائدة للمدرّسين ليقدموا أفضل ما لديهم حتى يحصلوا على أفضل ما عند الطلاب.

أقدم كتابي هذا راجياً أن ينال إعجاب القارئ.

جوني يونغ